مكانة بيت المقدس

بين نصوص الوحي وحركة الإنسان

تأليف

جواد بحر

مكانة بيت المقدس

بين نصوص الوحي وحركة الإنسان

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م

الإصدار الثاني للطبعة الأولى، مزيدة ومنقحة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الناشر

مركز دراسات المستقبل

فلسطين- الخليل

الإهداء

إلى والدي الكريمين أجزل الله ثوابهما

فقد غرس مسلكهما فيَّ منذ الصغر علو مقام بيت المقدس ومسجده الأقصى المبارك : وذلك منذ ان كان أبي حفظه الله تعالى يصطحبني معه إلى المسجد الأقصى للصلاة فيه منذ كنت غلاماً يافعاً :

ومنذ أن رأيت والدتي رحمها الله تعالى وقد زلزل كيانها وأذهل نفسها وأثار دموع عينيها ، ما تعرض له المسجد الأقصى من حرق عام ١٩٦٩م حين كنت غلاماً حدثاً صغيراً :

فابتدأ الأقصى مع بيت المقدس يستقران في نفسي استقراراً لا زوال له .

المقدمة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد:

فهذا بحث أردْتُ أن أُجَلِّيَ فيه صورة بيت المقدس في الإسلام، وأن أُظهر مكانتة المُرفرفةَ في الأعالي؛ وذلك لأسهِم بجهد يَخْرج على استحياء أمام جهود الباحثين في خدمة هذه المدينة المقدسة، ثم لتشترك هذه الجهود في فتح الباب أمام دفقات من الحبِّ والولاء والانتماء لا يقف أمامها شيء، تقوم على أساسٍ واحدٍ هو أن الأرض أرض الإسلام، ولن تتزيّى بغير زِيِّ الإسلام.

وكنتُ قد كتبتُ بحثا قبل هذا، لم أنشره بعد، أكَّدتُ وأثبتُّ فيه أن فلسطين أرض راسخة الجذور في عالم العروبة والإسلام، وردَدْتُ فيه على دعاوى من يريدون سلخ تاريخ هذه الأرض القديم، لصالح أقوام لم تعرفهم فلسطين إلا في هامش تاريخها، وهم في هذا الهامش الضئيل، لم يرعَوْا قدسيتها، ولم يحفظوا لها طهارتها، **بل شهد كتابهم المقدَّسُ عليهم أنهم ما إن تخلصوا من حكم سليمان وداود عليهما السلام، حتى أبدلوا طهارة الأرض رجسا، وتوحيدها الناصع شركا أسود..**

فلما أثبتُّ ما أثبتُّ في بحثي ذاك، وتركتُ فلسطين تتحدَّثُ فيه عن نفسها دون إكراه مني لها، فنطقت بما لا يجوز إخفاؤه من الحقائق التاريخية، وظهرت صورة فلسطين القديمة ذات الجذور العربية التوحيدية؛ لما أثبتُّ ما أثبتُّ من هذه المعاني، رأيتُ أن حلقة البحث لا تتم إلا بعد بيان المقام العالي لبيت المقدس في الإسلام، فجاء بحثي هذا ينطق بالحقيقة المنبثقة عن أصولها التي لا تُكذَبُ أبدا.

إن ثمة قمةً عالية سامقة، تربعت على ذروتها مدنٌ ثلاثٌ وتقاسمتها، وهي مدنٌ معروفة للقارئ الكريم، ولكن تبركا بأحاديث وخطوات الأنبياء التي سارت على ثراها،

نذكرها، لا لنعرّف القارئ بما يعرف، بل لنتبرك بذكر ما يعرف ونعرف؛ إن هذه المدن هي: مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس، فهل عرفت لها مثيلا؟

ولئن كانت الثالثة هي بيت المقدس، فإن لكل مدينة منها جانبا من القدسية والبركة ليس لشقيقتيها، وعليه فللقدس جانب من القدسية والمكانة الرفيعة، لم تنلها مكة ولا المدينة نفسُهما، رغم سبقهما بالفضل إجمالا.

وإن حديثنا في بحثنا هذا يخص بيت المقدس وحدها، ولا يتجاوزها إلى مكة والمدينة، إلا حيثما كان ذكر المدينتين كاشفا عن جانب من مكانة بيت المقدس..

ولقد حظيت القدس بمكانة خاصة في وجدان المسلمين، وتمكنت من أدبياتهم، فسبحت هذه الأدبيات في بحور المعاني القدسية، و لم يكن غريبا بعد كل ذلك أن تصبح القدس مصدر إلهام لشعراء العرب وخطباء المسلمين[1].

ومن هنا فإننا نرفع صوتنا عاليا بكلمات مشرقة كتبها يراع الأستاذ المستشار طارق البشري، فلقد قال الرجل: ((ليست القدس مدينة في وطن هو فلسطين، ولكن فلسطين وطن في مدينة هي القدس... القدس لا يمكن أن تستحيل إلى أنها محضُ موقعٍ وعاصمةٍ، **فهي ليست برلين يمكن أن تحل محلها بون في الضمير الألماني، وهي ليست إستانبول يمكن أن تحل محلها أَنْقَرَة في الضمير التركي، ولكنها القدس بغير بديل**))[2]؛ ونزيد:

---

(١) بل لم يقتصر الأمر على شعراء الإسلام والعربية، وإنما تعداه إلى من سواهم من الأمم، فلقد رأى النقاد أن قصة المعراج المتعلقة تعلقا أساسيا بالقدس ((كانت مصدر إلهام لدانتي، كبير شعراء الغرب المسيحي في الكوميديا الإلهية، التي يحمل الكثير من مبناها والعديد من موضوعاتها شبها لافتا لروايات المعراج الإسلامية))، وذلك كما قال الأستاذ وليد الخالدي، في مقاله: الإسلام والغرب والقدس، نشرته مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد (٣١) صيف ١٩٩٧م.

(٢) أورد كلام المستشار البشري هذا، الأستاذ حسام الدين نبيل، في مقال له بعنوان: (القدس مفاهيم يجب إيضاحها)، نشرته قناة الجزيرة على موقعها في الإنترنت: www.aljazeera.net.

وهي لب الصراع القائم، وهي سطوته، ومن ملكها ملك فلسطين كلها، ولربما لا نكون مبالغين إذا قلنا: من ملكها أوشك أن يملك الدنيا كلها.

فمن ذا يحسب نفسه يترع القدس من نفوس المسلمين إلا أن يكون عابثا عبثَ الصبيان، وما محاولات الطغيان سوى غبشٍ وغبار أثارته زوبعة لا تلبث أن تسكن في يوم ما، لينصرف عن القدس ما قد ران على وجهها الجميل من لوثات، هي أقدر على العجز منها على الفعل؛ عن إلغاء وجه القدس العربي الإسلامي(١).

إن ما انبثقت عنه قدسية فلسطين من أصول، كان أولُها احتضانَ بيتِ المقدس، المدينةِ المقدسةِ، التي ترجع جذور نشأتها إلى أوائل عهد البشر بالأرض؛ ومرورا باختصاصها بجماعات كثيرة من الأنبياء، وبالإسراء والمعراج، وكونِها تحتضن أولى القبلتين وثالثَ الحرمين الشريفين(٢)، إلى غير ذلك من عظيم الخصائص، التي سوف نتعرض إن شاء الله تعالى لها في مكانها من هذا البحث؛ نقول: إن ما انبثقت عنه قدسية هذه الأرض من كل ذلك، يدعونا إلى أن نتعرف على فكرة القدسية من ناحية كونها مترلة ورسالة

---

(١) يذكر الدكتور عبد الوهاب المسيري في كتابه هجرة اليهود السوفييت، (ص٢٢٠) أن نسبة من سكن من المهاجرين اليهود في القدس حتى آخر أيلول عام ١٩٩٠م لم يتجاوز ٨% بخلاف ما كان عليه الأمر في السبعينيات، فلقد سكن القدسَ من المهاجرين اليهود ٢٥%؛ وهذا في تقدير الدكتور المسيري دليل على أن اليهود لا يكترثون كثيرا بالقيم اليهودية أو الصهيونية، لذا لا يتجهون إلى القدس التي تحيطها هالة من القداسة في العقل اليهودي، فهي لا تعني لهم شيئا.

(٢) هو ثالث الحرمين الشريفين في حصر شد الرحال، لا في الحرمية؛ حيث منع كثير من العلماء وصف الأقصى وبيت المقدس بالحرم، على اعتبار أن هذا الوصف لم يثبت إلا للحرمين الشريفين، ولا أرى صحة منع هذا الإطلاق على المسجد الأقصى، وإنما غير الجائز هو إعطاء الأحكام الخاصة بالحرمين الشريفين للمسجد الأقصى وغيره من المساجد، والحرمية لا تعني بالضرورة نسبةَ أحكام الحرمين الشريفين للمسجد الأقصى، ونحن نطلق في كلامنا تعبيراتٍ مشابهة لا نرى مانعا من إطلاقها، كأن نقول: حرم الجامعة، وما شابه؛ هذا، ولم يرد في الشرع حظر على استخدام هذا اللقب لغير الحرمين، ما دام لم يحوّل أحكام الحرمين إلى المسجد الأقصى.

سامية، وعلى مدى ارتباط كل ذلك بهذه الأرض.

إننا هنا نتحدث عن بيت المقدس خاصة، ولكن حديثنا عن بيت المقدس هو في وجهٍ من وجوهه: حديث عن فلسطين عامة، ولْيعذرنا القارئ الكريم إذا وجد منا مزيدا من الحب والوَلَهِ بهذه الأرض المقدسة المباركة، ولا ضير في ذلك علينا، فهي التي اختصَّت بما أشرنا إليه، مما سيأتي تفصيله في ثنايا الكتاب إن شاء الله تعالى.

ولقد قلتُ فيما قلتُ في هذه الأرض:

طاب من أفيائها جيرانُها وعلى الآفاق منها رونق

ولقد دهم هذه الأرضَ المقدسةَ أكثرُ مما دهم سواها من أرض الإسلام، رغم فُحش الجُرم الغربي الاستعماري ضد أهل الإسلام في أرضه؛ ولكن ما تعرضت له فلسطين هو ضَرْبٌ من المحن التي قلّ نظيرها، فلقد احتُلت من قِبل أعداء الطهارة والقدسية، من صليبيين ويهود، ومن وثنيين يونان ورومان وفرس من قديم الزمان، وهي تلقى في أيامنا هذه ما يعرفه القاصي والداني من جُرمٍ غربي فاحش ثقيل الفحش، ومن اتفاق غربي على الانتصار للاحتلال الذي أحزَنَ وجهها الباسم..

ولكن الغريب أنها مع كل ذلك تتَّسِم بأنها أرض البشريات بتخليص البشر من أعدائهم ومن الشرك، وإنه لنبأ عظيم، أكثر الناس عنه معرضون، والتاريخ شاهد بمخزون هذه الأرض من تخليص البشر من أدعياءَ كثيرين ألقَوا برجسهم عليها، ثم لقُوا عليها بؤس المصير!

إنها بعد كل محنة كانت تخرج حاملة معها جبالا من العبر والدروس في الشموخ المتواصل، والنصر العزيز، والعزة المستديمة؛ ولقد استفادت من حركة التاريخ عليها أو بها أو فيها، وهي تتمتع «بخصوصية كبيرة، **لأنها تختص باستمرارية فريدة تتحدى التاريخ، فقد التقت داخلها حضارات العالم،...، كما كانت مركزَ التصادم بين الإمبراطوريات القديمة والحديثة، فتعرّضت للتخريب في حياتها الطويلة نحو ست عشرة مرة، وفي كل**

مرة كانت تنهض إلى الحياة من جديد، وتعود قوية متعافية..))[1].

واليومَ، والاحتلالُ اليهودي جاثم على ساحاتها المضطرمة شوقا إلى غدٍ يُعيد مجدَ الماضي، فإنها تدعونا دعاء الآمر الذي تجب طاعته، قائلةً: إن ثمة من يريد أن يسرقني من النفوس، كما سرقني من الجيوش والرؤوس، وإن ثمة أعداءً للطهارة التي تزينني قد ولغوا فيَّ بأقذار الكفر والإباحية، وهم يدَّعون قدسيتها عندهم، وإن الأرض لتسأل: هل القدسية تعني فيما تعني: نشرَ الإباحية والكفر في رحابي؟!

لو كانت الأرض المقدسة فلسطين مقدسة فعلا في دين اليهود، لحافظوا على معاني الطهارة فيها، ولَما نشروا كل ألوان الانحراف الديني والخلقي فيها، والحال أنهم الآن أصحاب الأمر والنهي فيها.

إن من يؤمن بقدسية فلسطين هو وحده الذي يُحْسن تطهيرها من الرجس والكفر بالله، وإلا: فماذا سيكون معنى قدسيتها؟!

إن الفكر اليهودي المعاصر ادَّعى عدم قدسيتها عندنا، وأنها مهضومة المكان في رؤانا، وأن قدسيتها لم تكن إلا لدى اليهودي الذي ولَهَ في حبها، وتفانى مدافعا عنها!

سنرى في هذا البحث أي الفريقين أصدق: الفريق الذي يدَّعي قدسيتها يهوديا أو الذي يدَّعي قدسيتها إسلاميا، وذلك من خلال الفكر والاعتقاد، ومن خلال الممارسة العملية، تلك التي تنطلق من العقائد الدينية الأصلية لكل فريق من الفريقين.

وحاول فريق من المستشرقين وأذيالهم الذاهبة في نفايات الفكر، أن يصرفوا معنى القداسة المتعلقة بهذه الأرض عن أصالتها القديمة، وأن ينسبوها إلى أصول يهودية بالغة الحداثة إذا ما قيست بزمان الأرض الضارب في القدم، وأن يوهموا قرّاءهم أن الأحاديث

---

(١) من مقال الدكتور محمد أحمد صالح، أستاذ مشارك، قسم اللغات الشرقية، جامعة القاهرة، بعنوان: السياسة الصهيونية لتغيير التركيبة الديمغرافية، نشرته مجلة العربي في عددها (٥٠٥)، الصادر في شهر كانون أول عام ٢٠٠٠م.

المتعلقة بقدسية الأرض، ترجع إلى ابتداع ابتدعه خلفاء الإسلام، في سنوات صراع يتمنى المسلمون أنه لم يكن، لكنه كان، ومن الله العفو والمغفرة، **لكن هؤلاء المستشرقين وأذيالهم، أرادوا أن يستغلوا ما داهم الأمة من مصائب الخلاف، ليجعلوا من خلفائها كما لو كانوا بابوات يملكون إيجاد أصول جديدة لدينهم، فأطمعوا أنفسهم بإمكانية نسبة معاني القدسية المتعلقة بهذه الأرض ومسجدها الأقصى إلى بعض خلفاء المسلمين، وكأن حالهم يقول: ما دام العرب المسلمون احتملوا أن ينشب بين خلفائهم قتال، فلا مانع من أن يُصَدِّقوا أن الخلفاء بلغوا مبلغا من الدس على رسول الله ﷺ، مكَّنهم من نسبة أحاديث إليه تقدس بيت المقدس**؛ ألا كذب هؤلاء، وسيرى القارئ مصداق قولنا على صفحات هذا البحث.

ولقد رأينا أن هذه الأرض تختص دون سواها من أرض الله الواسعة بمزايا ليست لغيرها، فأردنا أن يُسْهِم هذا البحث بشيء في هذا المضمار.

إننا هنا نؤدي رسالة مقدسة، وذلك حينما نتكلم بالحق عن الأرض المقدسة، وإن كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وأصول الإسلام المبثوثة في صفحات تراثنا العربي الإسلامي العريق؛ إن كل ذلك يدعونا إلى مزيد من الاهتمام بهذه الأرض، لإعطائها حقها، **ولن تخرج كلمات البشر مهما سَمَت وعَلتْ عن مقررات الحكمة في الوحي الشريف بأصليه: القرآن والسنة، وإنما قصارى ما يفعل البشر، أنهم يسيرون مع آيات الله حيث تسير.**

وإن المترلة العالية لا تكون للمبتدع الآتي بالغريب عن دين الله سبحانه، وإنما هي لمن يغوص في آيات الله، ويأتي بالدُّرر من أعماق النصوص، ويقتنص الغرر من آفاق النفوس، ويستفتح الأسرار في مدارات الكون، من الذرة إلى المجرة، فكلُّها آفاق البحث حسب دين الله، والسابح فيها سابح في آياته، قصَّر أو لم يُقَصّرْ.

وعلى كل ما تقدم، فإن بيت المقدس تتربع متبخترة في نفس المؤمن بالله تعالى، ولأجل ذلك، **فبيت المقدس مغروزة في نفوس المسلمين غرزا، ومغروسة في أفئدهم غرسا؛ وهيهات لِما غُرِس في شغاف القلوب أن يطرأ عليه ذبولٌ أو غُروب!**

إن تسمية الكتاب: مكانة بيت المقدس بين نصوص الوحي وحركة الإنسان، **تتضمن الإيحاء بحركة مبدؤها الوحي الشريف، إذ يقود حركةَ الإنسان إلى تفاعل مشهود مع الأرض المقدسة، غنيٍّ بالمعاني، ثريٍّ بدلائل الصدق المُتمثِّل في جمال العلاقة بين الوحي والأرض المقدسة والإنسان، تلك التي جاء التاريخ ليؤكّدها، وهو ما سيلمسه القارئ الكريم إن شاء الله تعالى!**

وإنني أَعِدُ القارئ الكريم ألا يرى في بحثي هذا إلا الصحيح أو الحسن من الحديث النبوي، ولربما مِلتُ إلى ترجيح الاحتجاج بحديث اختُلف في الاحتجاج به، ولربما مِلتُ إلى تصحيح أو تحسين حديث قال فيه بعض نقّاد الحديث قديما أو حديثا ما بدا لي خلافه، ولا أتعالى على إمامٍ قطُّ أبدا ما حييتُ.

ولكن في قليل جدا من الأحيان، أذكر حديثا ثبت لي فيه ضعفٌ يسير أُبيِّنُه، وما كنتُ لأذكر هذا الحديث إلا في سياق فكرة ثبت أصلها بالصحيح، أو تتابعت على ذكرها أحاديث عديدة يسيرة الضعف، رفعت مستوى المضمون إلى الثبات، ومثل هذا النوع في بحثي لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، بل لا يبلغ عددها.

وسوف يرى القارئ الكريم رؤى وتفسيراتٍ رأيتها، ومحاولات للدخول في أعماق النص أحيانا، كل ذلك ويقيني أن الصواب إن حالفني، فهو من الله، ولقد وقر في نفسي أن ما نفر من رأيي وتفسيري لبعض ما تعرضتُ له عن الصواب، فإن هذا النفور من قُصوري وعجزي أنا، والله الغافر، وألتمس منه سبحانه العفو والتسديد، ورجائي من قارئي ألا يضنَّ عليَّ بما يصوِّبني به أو يوجِّهني، وجزاه الله خيرا.

وأرجو أن يسمح لي القارئ بأن أتركه والأرضَ المقدسة، تحاكيه ويحاكيها، لتـــزداد القلوب بها ارتباطا، والنفوس لها عشقا، والعقول بها إعجابا.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الباب الأول:

جولة في مفهومَي القدسية والبركة وآفاقهما وتعلقهما بالقدس

إن تصور الأفكار من خلال توضيح المفهوم المقصود منها، هو الخطوة الضرورية الأولى في بحثنا الذي نخوض الآن بداياته، وإننا هنا في هذا الباب التمهيدي، نقوم بجولة في المفهوم الذي نريده من وراء كلمتي القدسية والبركة، وهما المفردتان اللتان تحملان في طياقهما مجمل رؤيتنا لمكانة بيت المقدس، فلا بد إذن من جولة تحدد المفهوم، لأجل أن تتحدد المترلة، ويتبين المقام، وتظهر المكانة.

إنه تبين لنا أن القدسية والبركة مفهومان كبيران، يحملان في مضمونهما معانيٍ أخلاقية سامية، ورسالة إنسانية نبيلة، مما يجعلهما أبعد ما يكونان عن دعوى دون التزام، فلا يصلح أن تلوك الألسنة مفردات القدسية والبركة، لبيان وإظهار عظيم المكانة التي يتبوؤها بيت المقدس، ثم تنفلت التصرفات والسلوكيات عن الالتزام برسالة القدسية والبركة، وبرسالة الأرض المقدسة المباركة.

وها نحن في بحثنا هذا نتبين هذا الجلال والكمال والوقار والخير الغزير، المركوز كله في معاني القدسية والبركة، وفي تلك الفضائل الكبرى التي كوَّنت في نفوسنا نحن المؤمنين بمكانة بيت المقدس، رؤية صحيحة راشدة، رفضت الخرافات والأوهام والتزمت بأنوار الحقائق.

ولكننا سنتحدث أولا عن نشأة فكرة القدسية في حياة الإنسان، لنعرف في بداية بحثنا أنها نشأت مع نشأة الإنسان ذاته، من أول أيامه على الأرض.

إن ابتداءنا بالبحث في نشأة فكرة القدسية عند الإنسان، ونحن نبحث في بيت المقدس، تسوقنا إليه التسمية الخاصة ببيت المقدس، تلك التسمية التي صارت عَلَماً لا يُعرف إلا لهذه المدينة المقدسة، فلا شك أن احتكارها لهذه التسمية، آتٍ من مخزونٍ خاصٍّ تملكه هذه المدينة دون غيرها، منذ نشأتها الأولى.

ولقد دخلنا في مبحث خاص بمفهوم الأرض المقدسة في الوحي السماوي، لنقارب قدر استطاعتنا ما هو حقيقة.

إن فكرة القدسية الناشئة مع الإنسان أول أيام حياته على الأرض، كانت تمنح الإنسان رسالة خلقية تكفل له بها مسالك حسنة، تعبر عن جليل معنى الحياة أول ما عرفها على وجه الأرض، ولذا صح أن نقول: إن قدسية الأرض معنى كبير تنبثق عنه رسالة إنسانية بديعة، ومعانٍ خلقية سامية، تسكب على سلوك الإنسان محامد جليلة، لأنها استطاعت ربط الأرض بالسماء، والدنيا بالآخرة، والوحي بالبشر.

وفي هذا الباب، ستتضح هذه الأمور كلها إن شاء الله، وسنجعل هذا الباب في أربعة فصول:

الفصل الأول: قِدم المعاني القدسية وحيويتها.

الفصل الثاني: مفهوم القدسية والبركة وما ينبثق عنهما.

الفصل الثالث: القدسية والبركة رسالة أخلاقية وإنسانية.

الفصل الرابع: مفهوم الأرض المقدسة.

الفصل الأول: قِدَم المعاني القدسية وحيويتها

أودُّ أن أُبيِّن أولا، وقبل الدخول في مفهوم قدسية الأرض المقدسة وبركتها، أن القدسية لا تشمل بمفهومها أمكنة أو أزمنة خاصة فحسب، بل تشمل عندنا أولا، أو هي تبدأ أولا وقبل كل شيءٍ: بالعقائدِ والنصوصِ والتشريعِ، وهي حينما تبدأ بالعقائد، فهي تبدأ بالحق سبحانه وتعالى، **فالله تعالى هو القُدّوس، أي المترّه عن النقائص والمعايب والشريك**، وهذا عندنا أساس التقديس، ولن يتم لشيء تقديسه إذا لم يكن معترفا بهذه القدسية لله سبحانه وتعالى، وكل شيء سيكون في دركات الغفلة والضلال والنقص إن لم يكن الله في قلبه، إن كان بشرا، وإن لم يكن الله معظَّما فيه، إن كان مكانا أو زمانا أو فعلا؛ ولعله لمثل هذا المعنى جاء حديث الرسول ﷺ: ((**كل كلامٍ أو أمر ذي بال لا يُفتح بذكر الله عزّ وجلّ فهو أبتر أو قال أقطع**))(١)، هذا، ولربما يشاركنا في بعض ما تشمله القدسية عندنا نحن المسلمين، بعضُ أصحاب الديانات الأخرى، ولا ضير في ذلك عندنا..

ثم يجب أن نبين ثانيا، أن تقديس الأمكنة ميراث بشري أصيل وغير طارئ على البشرية، فهو نشأ مع الإنسان من أول هبوطه على هذه الأرض، بل إن الإنسان أول ما نزل على الأرض، لم يكن حسب اعتقادنا الإسلامي يعرف سوى الطهارة، التي هي المضمون الأهم لمعنى القدسية، فلقد كان قريبا من الملائكة، عارفا بالله، قد امتلأ قلبه من جلاله سبحانه، ولم يَرَ الأرض التي نزل عليها إلا معراجا يعرج منه إلى ملكوت السماوات، ليعود من جديد إلى الجنة التي تسبب عدوُّه إبليس بهبوطه منها..

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، (٣٩٥/٨، ح: ٨٦٩٧)، طبعة دار الحديث بالقاهرة، وهي التي حققها الأستاذ العلامة أحمد محمد شاكر رحمه الله تعالى، وأتمّ تحقيقها الأستاذ حمزة أحمد الزين، وقال الأستاذ أحمد شاكر: إسناده صحيح، ورواه أيضا أبو داود في سننه، (٢٨١/٤، ح: ٤٨٤٠)، وابن ماجه، (٤٣٦/٢، ح: ١٨٩٤)، وألفاظهم متقاربة، واللفظ الذي أثبته هو لفظ الإمام أحمد.

هذه كانت حياة الإنسان أول ما هبط إلى الأرض، يقول الله تعالى: (**فتلقى آدم من ربه كلماتٍ فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم، قلنا اهبطوا منها جميعا، فإما يأتينكم مني هدى، فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون..**)[1].

لقد نزل آدم عليه السلام إلى الأرض وفي صدره عظمة الله، بعد أن مرَّ بتجربة مع عدوه إبليس الذي أراد ألا تعظم كلمة الله في نفس آدم، لكن آدم عارِف بعدوه بعد التجربة إياها، وعارف بالعظمة الربانية، وبمكان كلمات الله تعالى في نفسه.

وسيتضح معنا في صفحات بحثنا هذا، أن آدم ﷺ هو أول من عرف قدسية الأمكنة في تاريخ البشر، فالثابت الصحيح كما سنرى أنه هو باني الكعبة المشرفة، أقدم مقدَّس على وجه الأرض.

وهذا الذي نقوله عن أسبقية آدم عليه السلام في معرفة قدسية الأمكنة، هو ما وصل إليه باحثون غربيون متخصصون..

فلقد أوضح ميرسيا إلياد، رائد دراسة قداسة الأمكنة، أن تبجيل الأماكن المقدسة قد سبق كل تأملات الإنسان في طبيعة العالم، وتضيف أرمسترونج بعد أن تنقل بعض كلام إلياد: ((**فقداسة المكان من المبادئ التي تشترك فيها جميع الثقافات، والإيمان بها من العقائد الدينية الأولى في حياة الإنسان**))[2]، والناس ((**يستجيبون في الواقع لاحتياجات إنسانية أساسية**))[3]، وذلك حين يشغلون أنفسهم بما يتعلق بقدسية مكان ما.

وتتوسع كارين أرمسترونج في بحث مفهوم القدسية عند المسلمين حتى توصله إلى المجالات التي دخلها تطبيق التوحيد من مسيرة الإنسان في الحياة الإسلامية، فهي تقول:

---

(١) سورة البقرة، الآية (٣٧-٣٨).

(٢) القدس مدينة واحدة، ثلاث عقائد، تأليف كارين أرمسترونج، ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني، (٢٩).

(٣) المصدر نفسه، (٢٩).